الإيمان بالكمال الإلهي وأثره في تعزيز الأمن الفكري - دراسة عقدية تأصيلية -

محمد بن عبدالعزيز بن ركيان العنزي
الأستاذ المساعد بجامعة الحدود الشمالية

(تاريخ الاستلام: 14-03-2025؛ **تاريخ القبول:** 29-04-2025)

مستخلص البحث: تتناول هذه الدراسة العلاقة بين الأمن الفكري والكمال الإلهي من منظور عقدي تأصيلي، وتهدف إلى بيان الأثر العميق لإيمان المسلم بكمال الله تعالى في تحقيق الأمن الفكري وحماية العقل من الانحراف. استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي في تتبع النصوص الشرعية المتعلقة بالكمال الإلهي وربطها بقضايا الأمن الفكري المعاصرة.
وقد توصلت الدراسة إلى نتائج من أبرزها: أن الإيمان بكمال الله تعالى يمثل صمام أمان للفكر من الانحراف، وأن فهم صفات الله تعالى على الوجه الصحيح يؤسس لمنهجية سليمة في التفكير والنظر، كما كشفت الدراسة عن الأثر العملي للعقيدة الصحيحة في مواجهة التحديات الفكرية المعاصرة.
وأوصت الدراسة بضرورة تفعيل دور العقيدة في برامج تعزيز الأمن الفكري، وأهمية ربط القضايا المعاصرة بأصول الإيمان لتحقيق الحصانة الفكرية للمجتمع المسلم.

الكلمات المفتاحية: (الصفات الإلهية، التحصين العقدي، الوسطية، الانحراف الفكري، التصورات العقدية).

***

Faith in Divine Perfection and Its Impact on Enhancing Intellectual Security - A Foundational Doctrinal Study -

Mohammed bin Abdulaziz bin Rakaian Al-Anazi
Assistant Professor at Northern Border University

(**Received:** 14-03-2025; **Accepted**: 29-04-2025)

Abstract: This study examines the relationship between intellectual security and divine perfection from a doctrinal perspective. It aims to demonstrate the profound impact of a Muslim's belief in Allah's perfection on achieving intellectual security and protecting the mind from deviation. The study employed an inductive-analytical approach in tracking religious texts related to divine perfection and linking them to contemporary intellectual security issues.
The study reached several findings, most notably: that belief in Allah's perfection serves as a safety valve for thought against deviation, and that understanding Allah's attributes correctly establishes a sound methodology in thinking and reasoning. The study also revealed the practical impact of correct doctrine in addressing contemporary intellectual challenges.
The study recommended activating the role of doctrine in intellectual security enhancement programs and emphasized the importance of connecting contemporary issues with the fundamentals of faith to achieve intellectual immunity for Muslim society.

Keywords: (Divine Attributes) (Doctrinal Immunization) (Moderation) (Intellectual Deviation) (Doctrinal Perceptions)

(*) للمراسلة:
محمد بن عبدالعزيز بن ركيان العنزي
الأستاذ المساعد بجامعة الحدود الشمالية، المملكة العربية السعودية.

(*) **Corresponding Author**:
Mohammed bin Abdulaziz bin Rakaian Al-Anazi
Assistant Professor at Northern Border University.

DOI: 10.12816/0062202

1 المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن من أعظم مقومات استقرار الإنسان وطمأنينته في هذه الحياة هو الأمن الفكري الذي ينبثق من معرفته الصحيحة بربه جل وعلا، وإدراكه لصفات كماله سبحانه وتعالى، فالإنسان المؤمن الذي يعرف ربه حق المعرفة ويؤمن بصفات كماله المطلق، ينعم بأمن فكري وطمأنينة قلبية لا يمكن أن تتحقق لغيره، إذ ترتبط سكينة القلب وراحة البال ارتباطاً وثيقاً بمعرفة العبد بكمال الله عز وجل.

فالعبد متى ما علم أن ربه كامل في ذاته وصفاته وأفعاله، اطمأن قلبه واستراحت نفسه من القلق والاضطراب، وإذا علم العبد أن ربه عليم بكل شيء، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وأنه يعلم السر وأخفى، اطمأنت نفسه بأن حاله معلوم عند ربه، وأن مصيبته مرئية، وشكواه مسموعة، ودعاءه مُجاب، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الملك: الآية 14].

وإذا علم العبد أن ربه عادل كامل العدل، لا يظلم مثقال ذرة، وأنه سبحانه حكم عدل في قضائه وقدره، اطمأن واستراح من هموم الظلم الذي قد يلحق به في هذه الدنيا، وأيقن أن خصومه سيأخذ حقه منهم يوم القيامة، يوم يقف الناس بين يدي رب العالمين، كما قال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [سورة الأنبياء: الآية 47].

وعندما يستشعر العبد حكمة الله الكاملة، وأنه سبحانه لا يفعل شيئاً عبثاً، بل كل أفعاله لحكمة بالغة، يزول عنه القلق والاضطراب من المصائب التي تنزل به، ويطمئن قلبه إلى أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحديد: الآية 22].

ومتى علم العبد أن ربه رحيم، واسع الرحمة، وأنه أرحم به من الأم بولدها، استراح قلبه من الخوف والقنوط، واستبشر برحمة ربه التي وسعت كل شيء، فقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف: الآية 156].

إن هذا البحث يسعى إلى تأصيل العلاقة الوثيقة بين الأمن الفكري الذي يتمتع به المسلم وإيمانه بكمال الله عز وجل، وكيف أن هذا الإيمان يشكل حصناً منيعاً ضد الانحرافات الفكرية والاضطرابات النفسية التي تعصف بالإنسان المعاصر، ويبين أن معرفة الله تعالى على الوجه الصحيح هي أساس الطمأنينة والاستقرار الفكري والنفسي للإنسان المؤمن، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد: 28].

ومن هذا المنطلق، فإن دراسة العلاقة بين الأمن الفكري والكمال الإلهي تستند إلى أصول شرعية ثابتة، تؤكد أهمية هذا الموضوع وضرورة بحثه وتأصيله، خاصة في ظل التحديات المعاصرة التي تواجه الأمة الإسلامية.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون منهجه وصفياً تحليلياً، يجمع بين التأصيل النظري والتطبيق العملي، مستنداً في ذلك إلى النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وتأتي هذه الدراسة في وقت تشتد فيه الحاجة إلى تأصيل عقدي رصين يربط بين الإيمان بالكمال الإلهي وتحقيق الأمن الفكري، في ظل تعدد مصادر التلقي وتنوع المؤثرات الفكرية التي تستهدف عقيدة الأمة وثوابتها في الوقت المعاصر.

1-1 أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره فيما يلي:

1. تزايد التحديات الفكرية في العصر الحديث وظهور تيارات فكرية متنوعة تستهدف العقيدة الإسلامية، مما يستدعي دراسة علمية تأصيلية تربط بين فهم الكمال الإلهي وتحقيق الأمن الفكري كحصن منيع ضد هذه التحديات.
2. الحاجة الملحة لتأصيل علمي معمق يربط بين العقيدة والواقع المعاصر، حيث يمثل فهم الكمال الإلهي قاعدة أساسية في بناء الشخصية المسلمة المحصنة فكرياً، وهو ما يفتقر إليه كثير من الدراسات المعاصرة.
3. الفجوة الواضحة في المكتبة الإسلامية المعاصرة في الربط بين دراسة صفات الله تعالى وأثرها العملي في تحقيق الأمن الفكري، مما يجعل هذا البحث إضافة نوعية في مجال الدراسات العقدية التطبيقية.
4. أهمية تقديم رؤية عملية متكاملة لتعزيز الأمن الفكري مبنية على أسس عقدية راسخة، تصلح للتطبيق في المؤسسات التعليمية والتربوية، وتسهم في بناء جيل متوازن فكرياً وعقدياً.
5. الحاجة إلى معالجة الانحرافات الفكرية المعاصرة من خلال منهج علمي يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويربط بين فهم الكمال الإلهي وتطبيقاته العملية في تحصين الفكر وتحقيق الأمن العقدي للفرد والمجتمع.

1-2 مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث حول دراسة العلاقة بين الإيمان بالكمال الإلهي وتحقيق الأمن الفكري، وكيفية توظيف هذه العلاقة في معالجة الانحرافات الفكرية

المعاصرة، مع التركيز على التأصيل العقدي لفهم صفات الله تعالى وأثرها في تحقيق الأمن الفكري، وتقديم وسائل عملية وتطبيقية لتفعيل هذه العلاقة في المؤسسات التربوية والتعليمية.

1-3 أهداف البحث:

تظهر أهمية أهداف البحث في كونها تسعى إلى تأصيل العلاقة بين الإيمان بالكمال الإلهي والأمن الفكري، مع ما يشهده الواقع المعاصر من تحديات فكرية تستدعي ربط الأجيال بعقيدتهم الصحيحة، وتتمثل هذه الأهداف في:

1. بيان الأثر العقدي لفهم الكمال الإلهي في تحصين العقل المسلم وحمايته من الانحرافات الفكرية المعاصرة، مع التركيز على تأصيل العلاقة بين الإيمان بصفات الله تعالى وسلامة المنهج الفكري.
2. دراسة كيفية توظيف الإيمان بالكمال الإلهي في تحقيق الأمن الفكري من خلال الكشف عن الصلة الوثيقة بين معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وبين استقامة الفكر وسلامة المعتقد.
3. تقديم رؤية عقدية متكاملة لتفعيل أثر الإيمان بالكمال الإلهي في المؤسسات التربوية والتعليمية، بما يحقق الحصانة الفكرية للفرد والمجتمع على أسس عقدية راسخة.

1-4 الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقصاء في قواعد البيانات العلمية والمكتبات المتخصصة والرسائل الجامعية، لم أجد دراسة علمية متخصصة تناولت موضوع " الإيمان بالكمال الإلهي وأثره في تعزيز الأمن الفكري" بشكل مباشر ومع ذلك، هناك دراسات تناولت جوانب متفرقة من الموضوع، منها:

دراسة بعنوان: "الأمن الفكري دراسة تأصيلية لمفاهيم المصطلح ومحدداته" للباحث: د. محمد بن بالقاسم البكري، وهي عبارة عن بحث محكم قدم لمركز الدراسات والبحوث الأمنية في كلية الملك فهد الأمنية، والفرق بينها وبين دراستي ما يلي:

أولاً: تختلف الدراستان من حيث التخصص والمنهج، حيث تتميز الدراسة الحالية بربطها بين الأمن الفكري والعقيدة من خلال باب محدد وهو الكمال الإلهي، في حين تناولت الدراسة السابقة مفهوم الأمن الفكري ومحدداته بشكل عام مجرد عن التخصص العقدي.

ثانياً: تباينت الدراستان في الهدف والغاية، فبينما هدفت الدراسة الحالية إلى بيان الأثر العملي للعقيدة في تحقيق الأمن الفكري وتقديم حلول واقعية للتحديات المعاصرة، اقتصرت الدراسة السابقة على التأصيل النظري وتحديد المفاهيم والضوابط العامة للأمن الفكري.

ثالثاً: تميزت دراستي الحالية بتقديم إضافة علمية جديدة من خلال ربط الأمن الفكري بالكمال الإلهي وتطبيقاته العملية، في حين اكتفت الدراسة السابقة بجمع وتأصيل المفاهيم المتداولة في موضوع الأمن الفكري دون إضافة نوعية في المجال.

دراسة بعنوان: "الأمن الفكري ضرورته ووسائل تحقيقه" للباحث: عبدالله بن محمد الناصر، وتختلف الدراستان عن بعضهما البعض فيما يلي:

أولاً: تختلف الدراستان من حيث المنطلق والمحور الرئيس، فالدراسة الحالية تتناول الأمن الفكري من منظور عقدي خاص يرتبط بالكمال الإلهي وأثره، بينما تركز الدراسة السابقة على بيان ضرورة الأمن الفكري ووسائل تحقيقه من منظور عام وفيما يتعلق بالحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

ثانياً: تتميز الدراسة الحالية بتخصصها في جانب عقدي محدد وتأصيله وتطبيقاته، في حين تتجه الدراسة السابقة نحو الجانب التطبيقي العام للأمن الفكري وربطه بالحسبة وجهود المحتسبين في تحقيقه.

ثالثاً: تنفرد الدراسة دراستي بمعالجة موضوع الأمن الفكري من خلال ربطه بأصل عقدي (الكمال الإلهي) وبيان أثره في تحصين الفكر، بينما تركز الدراسة السابقة على الوسائل العملية والنماذج التطبيقية لتحقيق الأمن الفكري في المجتمع.

دراسة بعنوان: "الكمال الإلهي بين أهل السنة والجماعة ومخالفيهم" للباحث عبدالله بن عيسى الأحمدي، وهي رسالة دكتوراة قدمت في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى.

والفرق بين الدراستين:

أولا: من حيث الدراسة: دراسة د. الأحمدي تختص بمبحث الأسماء والصفات من جهة الكمال الإلهي، وبيان عقيدة السلف في إثباتها والرد على المخالفين، أما دراستي فتتناول مبحث توحيد الأسماء والصفات من جهة آثاره العقدية على الأمن الفكري وارتباطه بسلامة الاعتقاد.

ثانيا: من حيث الثمرة العقدية: دراسة د. الأحمدي ثمرتها تقرير عقيدة السلف في باب الكمال الإلهي وبيان مخالفات الفرق، أما دراستي فثمرتها بيان الآثار العقدية للإيمان بالكمال الإلهي في تحقيق الأمن الفكري وحماية الاعتقاد من الملوثات الفكرية.

1-5 إجراءات البحث:

1. المنهج المتبع في البحث:

- اعتمد البحث المنهج الاستقرائي في تتبع النصوص الشرعية المتعلقة بالكمال الإلهي.
- استخدم المنهج التحليلي في دراسة العلاقة بين الإيمان بالكمال الإلهي والأمن الفكري.
- اتبع المنهج الاستنباطي في استخراج الآثار والتطبيقات العملية.

2. الخطوات العلمية:

- عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر رقم الآية.
- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية مع بيان درجتها إن لم تكن في الصحيحين.
- توثيق النقول والآراء العلمية من مصادرها المعتمدة.
- الرجوع إلى كتب العقيدة الأصيلة في تقرير مسائل الكمال الإلهي.

3. الضوابط المنهجية:

- الالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الأسماء والصفات.
- العناية بالربط بين التأصيل العقدي والتطبيق العملي.
- مراعاة الترتيب المنطقي في عرض المسائل والموضوعات.
- الحرص على الوضوح والدقة في صياغة المصطلحات العلمية.

1-6 حدود البحث:

يقتصر البحث على دراسة العلاقة بين الكمال الإلهي والأمن الفكري، مع التركيز على الصفات الإلهية ذات الصلة المباشرة بالموضوع، دون التوسع في باقي الصفات، ومع التركيز على التحديات الفكرية الحالية، وتنحصر المصادر في كتب العقيدة الأصيلة والدراسات المعاصرة المتخصصة في الأمن الفكري، ويقتصر البحث على الآثار العملية للعلاقة بين الكمال الإلهي والأمن الفكري دون التوسع في القضايا الأخرى.

2 خطة البحث:

المبحث الأول: مفهوم الأمن الفكري والكمال الإلهي وتحدياتهما المعاصرة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الأمن الفكري لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مفهوم الكمال الإلهي وأدلته.

المطلب الثالث: التحديات المعاصرة للأمن الفكري وأثرها على الإيمان بالكمال الإلهي.

المبحث الثاني: صفات الكمال الإلهي وتطبيقاتها العملية في تحقيق الأمن الفكري، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صفات الله تعالى الذاتية وعلاقتها بالأمن الفكري.

المطلب الثاني: صفات الله تعالى الفعلية وعلاقتها في الأمن الفكري.

المطلب الثالث: نماذج من السيرة النبوية في ترسيخ فهم الكمال الإلهي.

المبحث الثالث: الآثار والوسائل المتعلقة بتحقيق الأمن الفكري من خلال الإيمان بالكمال الإلهي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: آثار الإيمان بالكمال الإلهي في تحصين الفكر من الانحراف.

المطلب الثاني: الوسائل العملية لتعزيز الأمن الفكري من خلال فهم الكمال الإلهي.

المطلب الثالث: معوقات تحقيق الأمن الفكري وسبل علاجها من منظور الإيمان بالكمال الإلهي.

المبحث الأول: مفهوم الأمن الفكري والكمال الإلهي وتحدياتهما المعاصرة، وفيه ثلاثة مطالب:

إن معرفة الله تعالى وكماله المطلق أصل عظيم في العقيدة الإسلامية، وهي السبيل الأكبر إلى تحقيق الأمن والطمأنينة في النفوس كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28] وحيث إن الانحراف في تصور الكمال الإلهي يُعد من أخطر مداخل الانحراف العقدي والفكري، فإن ضبط هذه المفاهيم وبيان حقيقتها أمر لازم لحماية عقيدة المسلم وفكره.

ويعالج هذا المبحث المفاهيم الأساسية للبحث من منظور عقدي، مع ربطها بواقع الأمة وتحدياتها المعاصرة، وذلك من خلال ثلاثة مطالب تؤسس لفهم العلاقة بين الكمال الإلهي والأمن الفكري، وتبين أثر الإيمان بكمال الله تعالى في حماية العقل المسلم من الانحرافات الفكرية، وهي كالتالي:

المطلب الأول: تعريف الأمن الفكري لغة واصطلاحاً:

لفظ الأمن الفكري مكون من عبارتين (الأمن، والفكر) وهي بمعنى:

أولاً: تعريف الأمن لغةً:

الأمن في اللغة مأخوذ من (أَمِنَ) وهو ضد الخوف، قال ابن فارس: "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق"[1].

(1) انظر: مقاييس اللغة (1/ 133)، والقاموس المحيط للفيروزبادي (ص1176) .

ثانياً: تعريف الفكر لغةً:

الفِكر -بكسر الفاء- مصدر فَكَرَ، وهو إعمال النظر في الشيء، قال الراغب الأصفهاني: "الفِكر قوة مُطرِقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جَوَلان تلك القوة بحسب نظر العقل"[1].

ثالثاً: تعريف الأمن الفكري اصطلاحاً:

تعددت تعريفات العلماء المعاصرين للأمن الفكري، ومن أبرزها:

1. الاستعداد والأمان وذلك بحفظ الضروريات الخمس من أي عدوان عليها[2]
2. "الاطمئنان الحاصل بسبب فهم روح شرع الله تعالى، وما يؤدي إلى ذلك من عدم انحراف الفرد أو الجماعة عن وسطية هذا الشرع"[3].
3. "الحال التي يكون فيها العقل سالماً من الميل عن الاستقامة عند تأمله، وأن تكون ثمرة ذلك التأمل متفقة مع منهج الإسلام على وفق فهم السلف الصالح، وأن يكون المجتمع المسلم آمناً على مكونات أصالته، وثقافته المنبثقة من الكتاب والسنة"[4].

تؤخذ على التعريفات السابقة عدة مآخذ: الأول اقتصر على حفظ الضروريات دون ربطها بالعقيدة، والثاني ركز واقتصر على الاطمئنان النفسي، كما أغفل الربط بين الأمن الفكري والعقيدة الصحيحة ودور الإيمان بالكمال الإلهي، واكتفى بالجانب السلبي في منع الانحراف دون الإيجابي في تنمية الفكر السليم. ، والثالث وإن كان أقربها للصواب لربطه بمنهج السلف إلا أنه لم يبرز دور الإيمان بالكمال الإلهي في تحقيق الأمن الفكري، كما يلاحظ على جميع التعريفات افتقارها للربط المباشر بين الأمن الفكري والعقيدة الصحيحة، وعدم ربطها بالمصادر الأصلية عند أهل السنة والجماعة.

والتعريف المختار: هو المنظومة المتكاملة من المعارف والمهارات التي تحفظ عقيدة المسلم من الشبهات والبدع المخالفة للكتاب والسنة وفهم السلف، وتمكنه من التمييز بين الحق والباطل والتعامل الواعي مع التيارات الفكرية المعاصرة، مما يحقق سلامة المعتقد واستقرار المجتمع.

المطلب الثاني: مفهوم الكمال الإلهي وأدلته:

أولاً: تعريف الكمال لغةً:

الكمال مصدر كَمُلَ، وهو التمام والتناهي. قال ابن فارس: "الكاف والميم واللام أصل صحيح يدل على تمام الشيء"[5].

ثانياً: تعريف الكمال الإلهي اصطلاحاً:

هو إثبات ما اتصف الله عز وجل به من صفات الكمال المطلق التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وتنزهه عن كل نقص أو عيب.

ثالثاً: أدلة الكمال الإلهي:

تنقسم الأدلة على كمال الله تعالى إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: الأدلة النقلية

وهي النصوص الواردة في الكتاب والسنة التي تثبت الكمال المطلق لله تعالى، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، وهذه الآية تدل دلالة قاطعة على نفي المماثلة عن الله تعالى مطلقاً، فهو سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وهذا النفي المطلق للمثلية يستلزم الكمال المطلق، لأن كل ما سواه ناقص محتاج.

ومن السنة النبوية ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: " إذا هم أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب))[6] وقد تضمن هذا الحديث العظيم دلالات متعددة على كمال الله تعالى:

فقوله: "أستخيرك بعلمك" يدل على كمال علم الله تعالى المطلق، فعلمه سبحانه محيط بكل شيء، ماضيه وحاضره ومستقبله، ظاهره وباطنه.

وقوله: "وأستقدرك بقدرتك" يدل على كمال قدرة الله تعالى، فقدرته سبحانه تامة لا يعجزها شيء.

وقوله: "فإنك تقدر ولا أقدر" فيه إثبات كمال القدرة لله وحده، ونفي القدرة التامة عن العبد، فقدرة المخلوق محدودة ناقصة.

(1) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص643)، والقاموس المحيط للفيروزبادي (ص458).
(2) مقومات الأمن في القرآن الكريم لإبراهيم الهويمل (ص9) جامعة نايف للعلوم الأمنية.
(3) الأمن الفكري في الشريعة الإسلامية لرامي فارس (ص20) الجامعة الإسلامية بغزة 1433هـ.
(4) الأمن الفكري دراسة تأصيلية لمفاهيم المصطلح ومحدداته لإبراهيم الزهراني (ص292).
(5) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (5/ 139).
(6) رواه البخاري في صحيحه (2/ 57).

وقولـه: "وتعلـم ولا أعلـم" فيـه إثبـات كمـال العلـم لله وحـده، ونفـي العلـم التـام عـن العبـد، فعلـم المخلـوق محـدود قاصـر.

وقولـه: "وأنـت عـلام الغيـوب" تأكيـد لكمـال علمـه سـبحانه، فهـو العالـم بـكل مـا غـاب عـن الخلـق مـن أمـور الدنيـا والآخـرة.

فهـذا الحديـث مـن أعظـم الأدلـة علـى كمـال الله تعالـى، حيـث جمـع بيـن إثبـات صفـات الكمـال لله تعالـى، ونفـي مماثلـة المخلـوق للخالـق فـي هـذه الصفـات، ممـا يـدل علـى أن الكمـال المطلـق لله وحـده.

القسم الثاني: الأدلة العقلية:

وتتجلى في مظهرين رئيسين:

الأول دليـل الفطـرة: حيـث فطـر الله تعالـى عبـاده علـى الإيمـان بكمالـه سـبحانه، فالنفـوس السـليمة مجبولـة علـى الإقـرار بعظمـة الله وكمالـه، وهـذا أمـر مركـوز فـي الفطـر، لا يحتـاج إلـى دليـل أو برهـان، ولذلـك تجـد القلـوب تهفـو إلـى خالقهـا وتتعلـق بـه وتلجـأ إليـه عنـد الشـدائد.

الثانـي دليـل التدبـر فـي المخلوقـات: فـإن كمـال المخلـوق فـي جانـب مـن الجوانـب يـدل بالضـرورة علـى كمـال الخالـق مـن كل جانـب، إذ المعطـي أكمـل مـن المعطَـى لـه، فمـا فـي المخلوقـات مـن جمـال وكمـال وإتقـان هـو أثـر مـن آثـار كمـال الخالـق وجمالـه وإتقانـه، ومـن تأمـل فـي خلـق السـماوات والأرض ومـا فيهمـا مـن إبـداع ونظـام، أدرك كمـال قـدرة خالقهمـا وعظيـم حكمتـه.

وبهـذا يتبيـن أن الأدلـة النقليـة والعقليـة قـد تضافـرت علـى إثبـات الكمـال المطلـق لله تعالـى فـي ذاتـه وصفاتـه وأفعالـه، وأن كل نقـص أو عيـب أو حاجـة منتفيـة عنـه سـبحانه، فهـو الكامـل فـي ذاتـه وصفاتـه، الغنـي عـن كل مـا سـواه، المفتقـر إليـه كل مـا عـداه.

رابعاً: أقسام الكمال الإلهي:

يتنـوع الكمـال الإلهـي إلـى ثلاثـة أقسـام رئيسـة، كلهـا تدل علـى عظمـة الله وجلالـه، ولـكل قسـم منهـا دليلـه الخاص:

الأول: كمال الذات:

وهـو مـا يتعلـق بـذات الله تعالـى مـن الصفـات الذاتيـة التي لا تنفـك عنـه سـبحانه، كالحيـاة والوجـود والقيوميـة والبقـاء، فذاتـه سـبحانه متصفـة بالكمـال المطلـق مـن كل وجـه، منزهـة عـن كل نقـص أو عيـب، ومـن أدلـة هـذا القسـم قولـه تعالـى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُـوَ الْحَـيُّ الْقَيُّـومُ﴾ [البقـرة: 255]، فوصـف نفسـه بالحيـاة الكاملـة والقيوميـة المطلقـة، وهـذا مـن أعظـم أدلـة كمـال الـذات.

الثاني: كمال الصفات:

وهـو مـا يتعلـق بصفاتـه سـبحانه مـن العلـم والقـدرة والحكمـة والرحمـة والعـزة وغيرهـا مـن صفـات الكمـال. ومن أدلـة هـذا القسـم مـا جـاء فـي الحديـث القدسـي الـذي رواه أبـو ذر رضـي الله عنـه (يـا عبـادي لـو أن أولكـم وآخركـم وإنسكم وجنكـم قامـوا فـي صعيـد واحـد فسـألوني فأعطيـت كل إنسـان مسـألته، مـا نقـص ذلـك ممـا عنـدي إلا كمـا ينقـص المخيـط إذا أدخـل البحـر)[1] فهـذا يـدل علـى كمـال غنـاه وقدرتـه وعطائـه سـبحانه.

الثالث: كمال الأفعال:

وهـو مـا يتعلـق بأفعالـه سـبحانه مـن الخلـق والتدبيـر والإحيـاء والإماتـة وغيرهـا، ومـن أدلـة هـذا القسـم قولـه تعالـى: ﴿الَّـذِي خَلَـقَ سَـبْعَ سَـمَاوَاتٍ طِبَاقًـا مَّـا تَـرَىٰ فِـي خَلْـقِ الرَّحْمَـٰنِ مِـن تَفَـاوُتٍ فَارْجِـعِ الْبَصَـرَ هَـلْ تَـرَىٰ مِـن فُطُـورٍ﴾ [الملـك: 3]، فهـذه الآيـة تـدل علـى كمـال خلقـه وإتقـان صنعـه، فـلا تـرى فـي خلقـه خلـلاً ولا نقصـاً ولا عيبـاً.

وهـذه الأقسـام الثلاثـة متلازمـة متكاملـة، يصـدق بعضهـا بعضـاً، ويشـهد بعضهـا لبعـض، فكمـال الـذات يسـتلزم كمـال الصفـات، وكمـال الصفـات يسـتلزم كمـال الأفعـال، وكمـال الأفعـال يـدل علـى كمـال الـذات والصفـات، وكلهـا تـدل علـى أن الله تعالـى هـو الكامـل المطلـق الـذي لا نقـص فيـه بوجـه مـن الوجـوه.

خامساً: قواعد في إثبات الكمال الإلهي:

1- كل كمـال ثبـت لله تعالـى فهـو كمـال مطلـق لا نقـص فيـه بوجـه، وهـو كمـال دائـم لا يتغيـر ولا يتبـدل:

هـذه القاعـدة تؤسـس لمفهـوم الكمـال المطلـق لله تعالـى، فكمالـه سـبحانه ليـس نسـبياً ولا مقيداً كمـا هو حـال المخلوقين، بـل هـو كمـال تـام مـن كل وجـه، مسـتمر لا يـزول ولا يتغيـر، كمـا قـال تعالـى: ﴿كُلُّ شَـيْءٍ هَالِـكٌ إِلَّا وَجْهَـهُ﴾ [القصص: 88].

2- يجـب إثبـات الكمـال لله تعالـى علـى الوجـه اللائـق بـه سـبحانه مـع نفـي التمثيـل والتشـبيه:

وهـذه القاعـدة تضبـط منهـج إثبـات الكمـال لله تعالـى، فنثبـت لـه كل كمـال علـى مـا يليـق بجلالـه وعظمتـه، مـع اعتقـاد أنـه ليـس كمثلـه شـيء فـي كمالـه. وكل كمـال ثبـت للمخلـوق فالخالـق أولـى بـه مـع تنزيهـه عـن مشـابهة المخلوقيـن، قـال تعالـى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَـلُ الْأَعْلَـى﴾ [النحـل: 60].

3- الكمـال الإلهـي توقيفـي فـي إثباتـه، لا مجـال للعقـل فـي إثباته اسـتقلالاً:

(1) رواه مسلم في صحيحه (4/ 1994، ح2577).

فلا نثبت لله من صفات الكمال إلا ما ثبت في الكتاب والسنة، فالعقل وإن كان يدرك كمال الله تعالى في الجملة، إلا أن تفاصيل صفات كماله لا تؤخذ إلا من الوحي، وهذا يحمينا من الوقوع في التحريف أو التعطيل، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36].

4- كمال الله تعالى يقتضي نفي كل نقص عنه، وإثبات الكمال المطلق له وحده:

وهذه القاعدة تجمع بين النفي والإثبات في باب الكمال الإلهي، فننفي عنه سبحانه كل نقص أو عيب أو حاجة، ونثبت له الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه أحد من خلقه. ولا يجوز نفي صفة كمال ثبتت لله بحجة التنزيه، لأن نفي الكمال نقص، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ [الحشر: 23].

وهذه القواعد الأربع تشكل إطاراً متكاملاً لفهم الكمال الإلهي وضوابط إثباته، فهي تبين حقيقته، وكيفية إثباته، ومصدر معرفته، وما يترتب عليه من نفي وإثبات.

المطلب الثالث: التحديات المعاصرة للأمن الفكري وأثرها على الإيمان بالكمال الإلهي:

تواجه الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر تحديات خطيرة تستهدف عقيدة التوحيد وصفات الله الكمالية، مما يهدد أصول الإيمان الراسخة في قلوب المسلمين، وقد أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم عن هذه الشدائد بقوله: «إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم»[1] تشبيهاً لحالة الظلمة العقدية التي تعصف بالبشر، وإن الانحراف في فهم صفات الله سبحانه وتعالى وكماله المطلق يؤدي حتماً إلى فساد التصور الإيماني الصحيح، مما يستلزم تحصين العقيدة بالعلم النافع والفهم الصحيح لنصوص الوحيين على منهج السلف الصالح، ومن خلال استقراء الواقع المعاصر يمكننا تحديد أبرز هذه التحديات وأسبابها على النحو التالي:

أولاً: أبرز التحديات المعاصرة:

تتنوع التحديات التي تستهدف العقيدة الصحيحة وتمس جوانب الإيمان بكمال الله تعالى وتوحيده، وقد تعددت أشكالها وتباينت خطورتها على المعتقد الصحيح، ومن أخطرها ما يلي:

النوع الأول: تحديات في أصل الإيمان بكمال الله تعالى:

تتعرض العقيدة الإسلامية في العصر الحديث إلى ثلاثة أسباب رئيسية تستهدف الإيمان بكمال الله تعالى، وتتجلى هذه التحديات في مظاهر متعددة:

أولا: ظاهرة الإلحاد المعاصر: التي تسعى لإنكار وجود الخالق الكامل، مستندة في ذلك إلى النظريات المادية، وعلى رأسها نظرية داروين في التطور، ويزعم أصحاب هذا الفكر أن المادة أزلية وأن الكون وجد بمحض الصدفة دون خالق.

ثانيا: الشبهات المثارة حول الذات الإلهية وكمالها: حيث يظهر التشكيك في وحدانية الله تعالى كما في عقيدة التثليث عند النصارى، وإنكار القدرة المطلقة لله بحجة وجود الشر في العالم، كما يزعم أصحاب هذا الاتجاه أن قوانين الطبيعة تعمل بذاتها دون تدخل إلهي، وهو ما يروج له الفلاسفة الماديون والعلمانيون المعاصرون في كتاباتهم وأطروحاتهم الفكرية.

ثالثا: محاولات تعطيل صفات الكمال الإلهي: حيث يسعى أصحاب هذا الاتجاه إلى نفي الصفات بدعوى التنزيه، مقتفين في ذلك منهج المعتزلة القدامى، كما يعمدون إلى تأويل الصفات بعيداً عن ظاهرها كما يفعل بعض المتكلمين، وينكرون الصفات الخبرية كالوجه واليد بحجة التشبيه. وتتبنى هذا الفكر بعض المدارس الكلامية المعاصرة التي تجدد طرح المذاهب الكلامية القديمة في ثوب جديد.

وقد تضمن القرآن الكريم الرد المحكم على هذه التحديات جميعها، فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: 35]، حيث وضعت الآية الملحد أمام احتمالين باطلين: إما وجودهم من العدم وهو مستحيل عقلاً، أو خلقهم لأنفسهم وهو مستحيل أيضاً، كما جمعت آية قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] بين نفي المماثلة في قوله "ليس كمثله شيء" رداً على الممثلة، وإثبات الصفات في قوله "وهو السميع البصير" رداً على المعطلة. وجاءت سورة الإخلاص لتؤكد وحدانية الله المطلقة وترد على كل شبهات الشرك والتعدد ونسبة الولد إلى الخالق جل وعلا بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1].

وبهذا يتضح أن القرآن الكريم قد رسم منهجاً متكاملاً في الرد على هذه التحديات المعاصرة، وأن هذه الشبهات - وإن تجددت أساليبها وتنوعت مظاهرها - لم تخرج في حقيقتها عما واجهه القرآن الكريم وفنّده، وقد أرسى القرآن الكريم قواعد الإيمان بكمال الله المطلق في آيات كثيرة، فقرر أن له سبحانه الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته، فلا نقص يعتريه ولا عيب يطرأ على كماله، ولا يماثله شيء في كماله وجلاله. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: 60]، وقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: 23].

(1) رواه أبو داود في سننه(4/ 100، ح4259) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (2/ 386، ح758).

ولما كان العقل البشري محدوداً بطبيعته، فإنه لا يمكنه الإحاطة بكمال الله تعالى، إذ إن إدراك كمال الشيء متوقف على إدراك حقيقته، والله سبحانه لا تدركه العقول ولا تحيط به الأفهام، وإنما يؤمن القلب بكماله المطلق، وتخضع الجوارح لعظمته، كما قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103]. وهذا الكمال الإلهي المطلق هو ما يجب أن يستقر في القلوب، ويترسخ في العقول، ويتجلى في السلوك والعبادة.

قال ابن القيم – رحمه الله -: "الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبروا بما تحيله العقول وتقطع باستحالته، بل إخبارهم قسمان:

أحدهما: ما تشهد به العقول والفطر.

الثاني: مالا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر وتفاصيل الثواب والعقاب ولا يكون خبرهم محالا في العقول أصلا وكل خبر يظن أن العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين أما يكون الخبر كذبا عليهم أو يكون ذلك العقل فاسدا وهو شبهة خيالية يظن صاحبها أنها معقول صريح قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة سبأ: الآية 6] وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الرعد: الآية 19]"[1]

النوع الثاني: تحديات في فهم الكمال الإلهي وتصوره:

تواجه عقيدة المسلمين في باب الكمال الإلهي تحديات فكرية معاصرة، تستهدف تشويه العقيدة الصحيحة في كمال الله تعالى وجلاله، وتكمن خطورة هذه التحديات في أنها تمس أصل التوحيد وتصور المسلم عن ربه سبحانه وتعالى، مما يستوجب بيان الحق فيها، والرد عليها في ضوء الكتاب والسنة، وتتجلى هذه التحديات في ثلاثة اتجاهات رئيسة:

الأول: النسبية العقدية التي تنكر الحقائق المطلقة في العقيدة، وتزعم أن كل شيء نسبي متغير، حتى ما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته، وهذا يناقض ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من إثبات الكمال المطلق لله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته.

الثاني: تقديم العقل على النقل في باب الصفات، وهو انحراف عقدي خطير يتجلى في صورتين: التأويل المنحرف لنصوص الصفات بدعوى موافقة العقل، والتعطيل الكلي للصفات بحجة التنزيه، وكلاهما مخالف لمنهج القرآن وما أجمع عليه السلف في إثبات ما أثبته الله لنفسه من صفات الكمال، مع نفي التمثيل والتكييف.

الثالث: إخضاع الكمال الإلهي للمقاييس المادية، وهو امتداد للفلسفات المادية التي تحاول تطبيق القوانين الطبيعية على صفات الله تعالى، وقياس كماله سبحانه على كمال المخلوقين، وهذا باطل شرعاً وعقلاً.

وقد تضمن القرآن الكريم الرد المحكم على هذه الانحرافات العقدية، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: 60]، مثبتاً الكمال المطلق لله تعالى، ونافياً المماثلة بينه وبين خلقه، وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، جامعاً بين نفي المماثلة وإثبات الصفات، وقال جل شأنه: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: 17]، مبطلاً القياس المادي في فهم كماله سبحانه، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85]، مبيناً محدودية العقل البشري وقصوره عن إدراك حقيقة الكمال الإلهي، مما يوجب التسليم لما جاء في النصوص الشرعية.

وقد قرر أهل السنة والجماعة في هذا الباب أصولاً محكمة، منها: أن الله تعالى موصوف بصفات الكمال، منزه عن صفات النقص، وأن صفاته سبحانه توقيفية لا مجال للعقل في إثباتها أو نفيها، وأنها صفات حقيقية تليق بجلاله وعظمته، لا تماثل صفات المخلوقين.

قال الإمام الذهبي – رحمه الله -: " نحن نعلم بأنه موصوف بصفات الكمال وأن كل كمال ثبت لموجود فهو أحق به وكل نقص منزه عنه، ونعلم أن الحياة والعلم والقدرة صفات كمال فهو أحق بها وكذلك الصدق كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: 87]"[2].

ومما ينبغي التنبيه عليه أن هذه التحديات المعاصرة، وإن تجددت صورها، إلا أن حقيقتها لا تخرج عن الشبهات التي واجهها السلف وردوا عليها بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة، المستمدة من الكتاب والسنة، والموافقة للفطر السليمة، فأعظم السبيل في مواجهتها هو التمسك بمنهج السلف في فهم نصوص الصفات، مع مراعاة أساليب العصر الحاضر في طريقة العرض والبيان.

ثانياً: الآثار العقدية للتحديات المعاصرة:

تتجلى خطورة هذه التحديات المعاصرة في تأثيرها البالغ على عقيدة المسلم وتصوره الإيماني، وقد تعددت هذه الآثار وتنوعت أشكالها، ويمكن إبرازها كما يلي:

القسم الأول: الآثار المتعلقة بأصول الاعتقاد:

تظهر آثار التحديات المعاصرة بوضوح في صميم العقيدة الإسلامية، وتمس جوهر إيمان المسلم بربه وصفاته، ومن أبرز هذه الآثار ما يلي:

(1) الروح (ص62).
(2) المنتقى من منهاج الاعتدال (ص: 140)

ضعف اليقين بالله تعالى وصفاته يعد خللاً عقدياً خطيراً يناقض كمال الإيمان الواجب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: 15]. ويؤدي هذا الضعف إلى اهتزاز الثقة بالنصوص الشرعية المتعلقة بالصفات الإلهية، وينتج عنه تردد في قبول النصوص الواردة في الكتاب والسنة حول صفات الله تعالى، مما يضعف جانب التعظيم الواجب لله تعالى في القلب.

1. الانحراف في فهم النصوص الشرعية يظهر في صور متعددة كالتأويل الباطل للصفات الإلهية، والتعطيل الكلي أو الجزئي لصفات الكمال، والوقوع في التشبيه والتمثيل عند إثبات الصفات، وكل ذلك مخالف لمنهج السلف القائم على الإثبات بلا تمثيل، والتنزيه بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].
2. التردد في مسائل الغيب يتجلى في عدم التسليم الكامل للنصوص الشرعية في باب الصفات، ومحاولة إخضاع النصوص للعقل القاصر، والشك في بعض الصفات الإلهية التي لا يدركها العقل، وهذا مخالف لوصف المؤمنين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: 15].
3. اضطراب التصور الصحيح للذات الإلهية يتمثل في الخلط بين صفات الخالق وصفات المخلوقين، وتعطيل معاني الأسماء والصفات عن حقائقها، والتردد في إثبات الكمال المطلق لله تعالى، وهذا مخالف لما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: 60].

القسم الثاني: الآثار المتعلقة بالمنهج:

وأما ما يتعلق بالجانب المنهجي، فإن التحديات المعاصرة قد أحدثت خللاً واضحاً في طرائق التلقي والاستدلال عند بعض المسلمين، مما أدى إلى انحرافات منهجية خطيرة تنعكس على سلامة العقيدة وصحة الفهم، ومن أبرز تلك الآثار:

1. اضطراب المنهجية في التلقي والاستدلال يظهر في تقديم العقل على النصوص الشرعية، والاستدلال بغير الأدلة الشرعية المعتبرة، وإهمال منهج السلف في فهم النصوص، والاعتماد على المناهج الفلسفية في تقرير العقيدة، مما يخالف المنهج القويم في تلقي العقيدة.
2. الخلل في ترتيب الأدلة الشرعية يتجلى في تقديم القياس العقلي على النص الشرعي، وتحكيم الذوق والوجدان في فهم النصوص، وإهمال الإجماع والآثار السلفية في باب الصفات، مما يؤدي إلى مخالفة ترتيب الأدلة المقرر عند أهل السنة.
3. التأثر بالمناهج الغربية في التفكير يبرز في محاولة إخضاع النصوص للمناهج المادية، وتطبيق قواعد المنطق اليوناني على النصوص الشرعية، والتأثر بالفلسفات الغربية في تفسير النصوص، مخالفين بذلك المنهج الرباني القائم على التلقي والتسليم، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65] فالتسليم لنصوص الوحيين وتقديمهما على العقول والآراء الغربية هو الطريق المستقيم الذي سلكه سلف الأمة وبه حُفظت العقيدة من الانحراف والتبديل.
4. الخلل في منهج الاستدلال يتمثل في الاعتماد على العقل المجرد في فهم الصفات، وإهمال دلالات اللغة العربية في فهم النصوص، والتكلف في تأويل النصوص لموافقة العقل، مما يؤدي إلى مخالفة منهج السلف في الجمع بين النصوص.
5. الاضطراب في التعامل مع النصوص يظهر في التناقض في قبول بعض الصفات ورد بعضها، وعدم الثبات على منهج واحد في التلقي، والخلط بين مناهج المتكلمين ومنهج السلف، والتردد بين الإثبات والنفي في باب الصفات، مما يؤدي إلى اضطراب العقيدة وضعف اليقين.

وهذه الآثار العقدية والمنهجية تمثل انحرافاً خطيراً عن منهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، وتستلزم العناية بتأصيل المنهج الصحيح في التعامل مع نصوص الصفات، والجمع بين الإثبات المفصل والنفي المجمل، كما هو مقرر في عقيدة السلف الصالح.

ثالثاً: سبل المواجهة:

تتعدد سبل مواجهة التحديات المعاصرة في باب الكمال الإلهي، وتتنوع وسائلها بحسب طبيعة التحدي وحال المدعوين وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى أصول هذه المواجهة في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]. ومن أهم هذه السبل:

1. نشر العقيدة الصحيحة وتأصيلها بالأدلة الشرعية، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125] ويشمل ذلك تقرير توحيد الأسماء والصفات، وبيان دلالات النصوص على الكمال الإلهي، وإيضاح منهج أهل السنة في إثبات الصفات مع الرد على شبهات المخالفين بالأدلة والبراهين.

2. تأصيل منهج السلف في التلقي والاستدلال، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: 100]. ويتضمن بيان أصول منهج السلف في باب الصفات، وتوضيح قواعد الاستدلال عند أهل السنة، وشرح طريقتهم في فهم النصوص.
3. الرد العلمي على الشبهات المعاصرة، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 111]. ويشمل تفنيد الشبهات المثارة حول الصفات الإلهية، وكشف زيف المناهج المنحرفة، وبيان تهافت الأدلة العقلية المخالفة للنصوص.
4. تنمية التفكير النقدي لدى المسلمين، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: 82] ويتضمن تعليم مناهج النقد العلمي الصحيح، وتدريب الشباب على تمييز الحق من الباطل، وتنمية ملكة النقد المنهجي للشبهات.
5. ربط الأمة بعلمائها الثقات، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43] ويشمل التعريف بعلماء السنة المعاصرين، وإبراز جهودهم في حفظ العقيدة، وتيسير التواصل معهم، ونشر فتاواهم وكتبهم الموثوقة.

رابعاً: الضوابط المنهجية في المواجهة:

إن مواجهة التحديات المعاصرة في باب الكمال الإلهي تحتاج إلى ضوابط منهجية تضبط مسارها وتحقق مقاصدها، وتعصم القائم بها من الانحراف أو الزلل. وقد دلت نصوص الوحيين على أهمية هذه الضوابط وضرورة مراعاتها، ومن أبرزها:

1. الرجوع إلى الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: 8] وهذا يقتضي التزام المنهج السلفي في فهم النصوص وتطبيقها، والحذر من المناهج المنحرفة في التلقي والاستدلال.
2. فهم الواقع المعاصر وتحدياته، عملاً بمنهج السلف في معالجة قضايا عصرهم ويشمل دراسة المستجدات الفكرية، وفهم طبيعة التحديات المعاصرة، وإدراك أساليب أهل الباطل في نشر شبهاتهم مع الرد عليها والتحذير منها.
3. مراعاة فقه الأولويات في المعالجة، اقتداءً بمنهج النبي في الدعوة والبيان، ويتضمن تقديم الأهم على المهم، والبدء بأصول العقيدة قبل فروعها، ومراعاة حاجات المدعوين وظروفهم.
4. الإخلاص لله تعالى في مواجهة تلك التحديات والرأفة والرحمة بالمدعوين كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162] فالإخلاص هو تجريد القصد لله تعالى، والبعد عن حظوظ النفس، والحرص على نفع المدعوين طلبا للأجر من الله جل وعلا.
5. التدرج في المعالجة والتصحيح اتباعاً لمنهج القرآن في التشريع والبيان، ويتضمن مراعاة أحوال المدعوين، والتدرج في تصحيح المفاهيم، والصبر على المخالفين، والرفق في الدعوة والبيان.

المبحث الثاني: صفات الكمال الإلهي وتطبيقاتها العملية في تحقيق الأمن الفكري، وفيه ثلاثة مطالب:

تُمثل صفات الله تعالى أساساً متيناً في بناء العقيدة الصحيحة وتحقيق الأمن الفكري، وقد دل على أهميتها قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 174] فاللجوء إلى ربك العزة والجلال ودعائه بأسمائه أعظم الأسباب في تحصين الفكر من المشوشات، وتنقسم صفاته سبحانه إلى صفات ذاتية وصفات فعلية، وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على ترسيخ فهمها في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم، وسيتناول هذا المبحث دراسة هذه الصفات وأثرها في تحقيق الأمن الفكري من خلال ثلاثة مطالب: يختص الأول منها ببيان الصفات الذاتية وعلاقتها بالأمن الفكري، ويتناول الثاني الصفات الفعلية وأثرها في استقرار العقيدة، أما الثالث فيستعرض نماذج عملية من السيرة النبوية في ترسيخ فهم الكمال الإلهي وتطبيقاته، وهي كالتالي:

المطلب الأول: صفات الله تعالى الذاتية وعلاقتها بالأمن الفكري:

الصفات الذاتية هي الصفات الملازمة لذات الله تعالى، الثابتة له أزلاً وأبداً، وتتجلى علاقتها بالأمن الفكري في أنها تعد من أعظم أصول العقيدة الإسلامية وأكثرها أثراً في تحقيق الأمن الفكري للفرد والمجتمع، وهي تلك الصفات الملازمة لذاته سبحانه، التي لا تنفك عنه، ولا تتعلق بمشيئته وإرادته، بل هي ثابتة له أزلاً وأبداً، وقد دلت النصوص الشرعية على وجوب إثباتها لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] ويعد فهم هذه الصفات وإدراك معانيها ركيزة أساسية في بناء العقيدة الصحيحة وتحصين الفكر من الانحراف، وتتضح علاقة هذه الصفات بالأمن الفكري من خلال دراسة أبرزها وبيان آثارها، وذلك على النحو الآتي:

1. صفة الوجود وأثرها في ترسيخ الأمن الفكري:

إن الإيمان بوجود الله تعالى الثابت بقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[الحديد: 3] يؤسس لمنظومة فكرية متكاملة تحصن العقل من الشبهات الإلحادية، فهو وجود كامل مطلق، لا يسبقه عدم ولا يلحقه فناء، ولا يحتاج إلى موجِد، بل هو الخالق لكل موجود.

وحين يستقر في قلب المؤمن هذا الوجود الكامل، يرى في كل ذرة من الكون شاهداً على وجود خالقه، فحين يتأمل في خلق السماوات فيرى عظمة الخالق، ويتفكر في خلق الأرض فيشهد قدرة البارئ، وينظر في خلق نفسه فيدرك حكمة المصور جل في علاه كما قال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 10].

قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله: "والله تبارك وتعالى أعلى وأكبر وأجل وأعظم من أن يحتاج في معرفة وجوده إلى شواهد واستدلالات, فذات المخلوق نفسه شاهدة بوجود خالقه حيث أوجده ولم يكن من قبل شيئا, فلم يذهب يستدل بغيره وفي نفسه الآية الكبرى والبرهان الأعظم وشأن الله تعالى أكبر من ذلك ولم يجحد وجوده تعالى من جحده من أعدائه إلا على سبيل المكابرة, ولهذا قال تعالى في كفرهم بآياته: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا﴾ [النمل: 14] فكيف بوجود الخالق تبارك وتعالى"[1].

فكيف يضطرب من يوقن أن له رباً موجوداً يراه ويسمعه ويعلم سره ونجواه؟ إن هذا اليقين يجعل المؤمن مستقراً في عقيدته، ثابتاً في إيمانه، لا تزعزعه شبهات الملحدين ولا تضعف يقينه شكوك المشككين.

وبهذا الإيمان العظيم يسير المؤمن في الحياة بثبات وثقة، مستنداً إلى ركن شديد، موقناً أن له رباً يدبر أمره ويرعى شؤونه، فيتحقق له الأمن الفكري والاستقرار النفسي في أمور دينه ودنياه.

2. صفة الحياة وأثرها في ترسيخ الأمن الفكري:

إن الإيمان بحياة الله الكاملة الثابتة بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[البقرة: 255] يرسخ معنى المراقبة الإلهية الدائمة، فهي حياة كاملة لا يعتريها نقص ولا يلحقها عدم، حياة أزلية أبدية لا أول لها ولا آخر.

وحين يتأمل المؤمن في معنى هذه الحياة الكاملة، يدرك أن له رباً حياً لا يموت، قيوماً لا تأخذه سنة ولا نوم، يراقب عباده في كل لحظة، ويدبر شؤونهم في كل حين، كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: 58].

فكيف يضعف توكل من يعلم أن له رباً حياً قيوماً؟ إن هذا اليقين يولد في قلب المؤمن توكلاً صادقاً وثقة راسخة، ويجعله يعيش في كنف هذه المراقبة الدائمة، وبهذا الإدراك العميق يتحرر المؤمن من القلق والاضطراب، ويحقق الاتزان الفكري والسلوكي، مستشعراً دوام رعاية الله له وقيوميته عليه.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: " فحياة الله عز وجل أزلية أبدية، أي لم يزل ولا يزال حيا، ثم هي حياة أيضاً كاملة لا يعتريها نقص بوجه من الوجوه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾) [الفرقان: 58] فهذا فيه الامتناع عن زوال هذه الحياة، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [البقرة: 255] وهذا منع لوصفها بالنقائص، فهي حياة كاملة ليس فيها سنة ولا نوم، حياة دائمة ليس فيها موت، حياة أزلية لأنها لم تسبق بعدم، وكل حياة البشر بل كل المخلوقات حياتها مسبوقة بعدم، وكذلك أيضاً جميع حياة الإحياء قابلة للزوال غير الله عز وجل، حتى ما خلق للبقاء كالروح، وغلمان أهل الجنة، والحور؛ هذه خلقت للبقاء وستبقى، لكنها قابلة للزوال لو شاء الله تعالى لأهلكها"[2].

3. صفة الوحدانية وأثرها في ترسيخ الأمن الفكري:

يؤسس الإيمان بوحدانية الله تعالى الثابتة بقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] لتوحيد مصادر التلقي ومنع التشتت الفكري، فهي وحدانية مطلقة كاملة، تنفي الشريك والنظير عن الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله.

وحين يستقر هذا التوحيد في قلب المؤمن، تتحرر نفسه من عبودية ما سوى الله، ويجتمع قلبه على غاية واحدة كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر: 29].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فمن لم يستسلم له فقد استكبر وَمن استسلم لله ولغيره فقد أشرك وكل من الْكبر والشرك ضد الْإِسْلَام وَالْإِسْلَام ضد الشّرك وَالْكبر وذلِك فِي الْقُرْآن كثير ولِهذا كان الْإِسلام شَهَادَة أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَهِي متضمنة عبادة الله وَحده وَترك عبادة ما سواهُ وَهُوَ الْإِسْلَام الْعَام الَّذِي لَا يقبل الله من أحد من الْأَوَّلين والآخرين دينا سواهُ"[3]

فما أجمل أن تجتمع همة العبد على إله واحد! يتلقى منه وحده، ويتوجه إليه وحده، فيسلم من تشتت الولاءات وتنازع الوجهات، وبهذا التوحيد الخالص يعيش المؤمن في استقرار وطمأنينة، متحرراً من عبودية المخلوقين، مستسلماً لرب العالمين.

4. صفتا العلم والقدرة وأثرهما في ترسيخ الأمن الفكري:

إن الإيمان بإحاطة علم الله وقدرته الثابتين بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 29] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: 20] يحقق الاستقرار النفسي والفكري، فهو علم شامل كامل لا يعزب عنه مثقال ذرة، وقدرة مطلقة لا يعجزها شيء.

(1) معارج القبول بشرح سلم الوصول (1/ 106) المحقق : عمر بن محمود أبو عمر، الناشر : دار ابن القيم - الدمام الطبعة : الأولى ، 1410 هـ - 1990 م.
(2) شرح العقيدة السفارينية (1/ 171) الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، 1426 هـ.
(3) أمراض القلوب وشفاؤها (ص: 41) الناشر: المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1399هـ.

وحين يوقن المؤمن بهذا العلم المحيط والقدرة الشاملة، يطمئن قلبه إلى تدبير ربه، ويرضى بقضائه وقدره، فكيف يقلق من يؤمن بأن ربه يعلم السر وأخفى، ويقدر على كل شيء؟ وباليقين الراسخ يواجه المؤمن تحديات الحياة بقوة وثبات، مستنداً إلى علم ربه بحاله وقدرته المحيطة به، وموقناً بحسن تدبيره وكمال حكمته جل وعلا.

وبهذا يتضح أن معرفة صفات الله الذاتية وتفعيل آثارها في حياة المسلم يمثل أساساً متيناً في تحقيق الأمن الفكري وحماية المجتمع من الانحرافات العقدية والفكرية، فكلما ازداد المؤمن معرفة بصفات ربه وتعظيماً لها، ازداد أمناً وطمأنينة واستقراراً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28] وينبغي العناية بتفعيل هذه المعاني في جميع المجالات لتحقيق الأمن الفكري المنشود.

المطلب الثاني: صفات الله تعالى الفعلية وعلاقتها في الأمن الفكري:

تمثل الصفات الفعلية لله تعالى جانباً جوهرياً في بناء الأمن الفكري وتحصين العقيدة، وهي الصفات المتعلقة بمشيئته سبحانه، يفعلها متى شاء كيف شاء، كما قال تعالى: ﴿ويَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 27] وتبرز علاقة هذه الصفات بالأمن الفكري من خلال ما تحمله من دلالات عظيمة تؤثر في بناء شخصية الإنسان المسلم، وترسخ لديه مفاهيم الاعتدال، واليقين، والوسطية، والتوازن، مما يحميه من الوقوع في الغلو أو الانحراف، ويؤسس لمجتمع مستقر فكرياً وعقدياً، ومن أبرز هذه الصفات:

1- صفة الرحمة وأثرها في الأمن الفكري:

حينما يستشعر العبد رحمة الله الواسعة في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، يترسخ في قلبه الشعور بأن الله أرحم الراحمين، وأن رحمته سبحانه شملت كل شيء، وأنه لا يغلق باب رحمته أمام عباده مهما عظمت ذنوبهم. هذا الشعور يولد في النفس الطمأنينة، ويزيل عنها القنوط واليأس.

ومن هنا يدرك المسلم أن الدين قائم على الرحمة، بل الله جل وعلا ما أرسل رسوله إلا رحمة للعالمين كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] هذا الفهم العميق لصفة الرحمة ينعكس على سلوك المسلم تجاه الآخرين، فيبتعد عن الغلو والتطرف، ويعامل المخالفين بالرفق والحكمة والكلمة الطيبة، فحين يعلم أن رحمة الله سبقت غضبه، يتجنب التكفير والتشدد، ويتعامل مع الناس بروح العدل والوسطية.

كذلك فإن إدراك سعة رحمة الله يجعل المسلم أكثر حرصاً على دعوة الناس إلى الخير بالحكمة والموعظة الحسنة، بعيداً عن العنف أو القسوة، وهذا يؤدي إلى تأسيس بيئة فكرية قائمة على التوازن والاعتدال، مما يحمي المجتمع من التطرف والغلو، ويعزز الأمن الفكري والاستقرار الاجتماعي.

قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله -: "الرحمن اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للرحمة الكاملة التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الله أرحم بعباده من هذه بولدها"[1] يعني: أم صبي وجدته في السبي فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته، ومتضمن أيضا للرحمة الواسعة التي قال الله عنها: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: 7]"[2].

2- صفة الخلق وعلاقتها بالأمن الفكري:

عندما يؤمن المسلم بأن الله خالق كل شيء كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: 62]، يتولد لديه يقين بأن هذا الكون بما فيه من تنوع واختلاف هو من صنع الله جل وعلا، وأن هذا التنوع آية من آياته سبحانه، هذا الإيمان يعزز لدى المسلم فهم أن الاختلاف بين البشر في أشكالهم، وألوانهم، وألسنتهم، وأرزاقهم هو من مشيئة الله وحكمته، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: 22].

وهذا يجعل المسلم يُقرّ بأن الله هو الذي قسم الأرزاق، واختار لكل مخلوق ما يناسبه، مما يدفعه إلى التسليم لحكمة الله وعدله في خلقه، بعيداً عن التكبر أو الشعور بالاستعلاء على الآخرين، كما أن إدراك حكمة الله في الخلق يجعل المسلم يوقن بأن لكل مخلوق غاية وهدفاً، وأن الله خلق الإنسان ليعبده ويعمر الأرض بالخير والصلاح، مما يعزز لديه الالتزام بالمنهج الإلهي القائم على العدل والإنصاف.

هذا الفهم يحمي المسلم من الوقوع في الأفكار المنحرفة التي تنكر حكمة الخالق أو تدعو إلى العبثية والإلحاد، ويؤسس لأمن فكري يقوم على التسليم لحكمة الله واحترام سننه في الخلق.

3- صفة التدبير وأثرها في الأمن الفكري:

حين يوقن المسلم بأن الله سبحانه يدبر أمر الكون بحكمة وإحكام، كما قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: 5]، تسكن نفسه وتطمئن بأن كل ما يجري في هذا الكون هو بتقدير الله وتدبيره سبحانه وتعالى، هذا الإيمان يجعل المسلم يتجنب التسرع في إصدار الأحكام أو الاستعجال في النتائج، ويدرك أن كل شيء يحدث في وقته المناسب وفقاً لحكمة الله البالغة.

(1) رواه البخاري في صحيحه (8/ 8، ح5999، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته) المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
(2) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص7) الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، 1421هـ/2001م

كما أن إدراك شمول تدبير الله للكون يمنح الإنسان الثقة والسكينة، ويجعله أكثر قدرة على مواجهة التحديات والصعوبات، فالمسلم الذي يدرك أن تدبير الله كامل وشامل يتحرر من الخوف والقلق، ويواجه الأزمات بثبات وصبر مع حُسن التوكل على الله.

هذا اليقين بأهمية تدبير الله ينعكس على تعامل الإنسان مع الأحداث من حوله، حيث يصبح أكثر هدوءاً واتزاناً، وأقل عرضة للاضطرابات الفكرية أو الانحرافات السلوكية، كما يعزز هذا الإيمان روح التعاون بين الناس، لأنهم يدركون أن التدبير الإلهي يشملهم جميعاً، مما يؤدي إلى بناء مجتمع متماسك ومترابط قائم على الثقة بالله وحسن التوكل عليه، وبهذا يتحقق الأمن الفكري في أبهى صوره.

4- صفة المغفرة وأثرها في الأمن الفكري:

عندما يتأمل المسلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: 53]، يدرك أن الله سبحانه فتح باب التوبة على مصراعيه لعباده، مهما بلغت ذنوبهم، هذا الإدراك يولد في قلب المسلم رجاءً عظيماً برحمة الله، ويمنعه من الوقوع في اليأس والقنوط، كما قال تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 53] وكما جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه قال: (يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان فيك، ابن آدم إنك إن تلقاني بقراب الأرض خطايا، لقيتك بقرابها مغفرة بعد أن لا تشرك بي شيئا، ابن آدم، إنك إن تذنب حتى يبلغ ذنبك عنان السماء، ثم تستغفرني أغفر لك ولا أبالي)[1].

فالمسلم الذي يوقن بسعة مغفرة الله يصبح أكثر تسامحاً مع نفسه ومع الآخرين، ويدرك أن البشر جميعاً خطاؤون، وأن الأفضل بينهم هو من يتوب ويصلح عمله، هذا الفهم يدفعه إلى نشر روح التسامح والعفو في المجتمع، مما يقلل من النزاعات والصراعات، ويعزز الوئام والمحبة بين الناس.

كما أن استيعاب صفة المغفرة يجعل المسلم أكثر حرصاً على دعوة الآخرين للإصلاح، دون أن يحكم عليهم حكماً قاطعاً، بل يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، مؤمناً بأن باب المغفرة مفتوح للجميع، وهذا يشجع على بناء مجتمع متسامح ومتصالح مع ذاته، مما يعزز الأمن الفكري ويبعد المجتمع عن العنف والتطرف.

من خلال هذه الصفات الفعلية لله تعالى، يتضح أن الإيمان بها وفهم معانيها العميقة يساهم في بناء شخصية متزنة فكرياً وعقدياً، قادرة على مواجهة التحديات الفكرية المعاصرة بمنهجية إسلامية أصيلة. فصفات الرحمة، والخلق، والتدبير، والمغفرة تؤسس لمجتمع آمن فكرياً، مستقر عقدياً، تسوده قيم التوازن، والاعتدال، والتسامح، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق: 3].

المطلب الثالث: نماذج من السيرة النبوية في ترسيخ فهم الكمال الإلهي:

تجلت في السيرة النبوية المنهجية المتكاملة في ترسيخ فهم صفات الله تعالى الكاملة، حيث حرص النبي على غرس معاني الكمال الإلهي في نفوس أصحابه، مما أثمر عقيدة راسخة وأمناً فكرياً متيناً، وتبرز هذه المنهجية في النماذج التالية:

1- نموذج كمال العزة والملك وأثرها في ترسيخ الأمن الفكري:

لقد حرص النبي على غرس معاني عزة الله وملكه المطلق في قلوب أصحابه، ليوقنوا أن الله هو الملك الحق الذي لا ينازع في ملكه أحد فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض)[2] يتجلى في هذا الحديث العظيم برهان كمال الملك والعزة لله تعالى، فهو سبحانه المتفرد بالملك الحقيقي الذي لا يزول، وحين تستقر هذه الحقيقة في قلب العبد، تتحرر نفسه من رق المخلوقين إلى عز الخالق، فلا يتعلق بملك زائل ولا سلطان فانٍ، بل يستمد عزته من عزة الله، وقوته من قوته سبحانه، وبهذا يتحقق الأمن الفكري من خلال تحرير العقل من عبودية الخلق إلى عبودية الخالق جل وعلا، والاستغناء عن التذلل للمخلوقين، فيثمر ذلك ثقة العبد بالله وتوكله عليه، وعزة نفس لا تنحني لغير خالقها.

2- نموذج كمال الغنى وأثرها في ترسيخ الأمن الفكري:

كذلك اهتم النبي بتعريف أصحابه رضوان الله عليهم بغنى الله المطلق، ليغرس في قلوبهم الاطمئنان إلى أن الله هو الغني الذي لا تنفد خزائنه، عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي في الحديث القدسي: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر)[3] يكشف هذا الحديث القدسي عن كمال غنى الله المطلق الذي لا يتناهى، فخزائنه لا تنفد، وعطاؤه لا ينقص جل في علاه، وعندما يترسخ هذا المعنى في قلب المؤمن، تتحرر نفسه من القلق على الرزق، وتطمئن إلى غنى الله وكرمه، فيتحقق له الغنى النفسي الذي يحميه من الانحراف الفكري بسبب المال، ويحرره من عبودية الدرهم والدينار، وبذلك يصبح

(1) رواه الترمذي في سننه (5/ 440، ح3540) المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: 1998م، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (1/ 250، ح127) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، عام النشر: 1415هـ - 1995م.

(2) رواه البخاري في صحيحه (6/ 126، ح4812).

(3) رواه مسلم في صحيحه صحيح مسلم (4/ 1994، ح2577).

المسلم أكثر ثقة برزق الله وكرمه، وأبعد عن الوقوع في الفساد أو الجشع.

3- نموذج كمال العدل والحكمة وأثرها في ترسيخ الأمن الفكري:

من أعظم ما يثبت الأمن الفكري في نفس المؤمن إدراكه لكمال عدل الله وحكمته في تدبير الكون. وقد جاء هذا المعنى جلياً في حديث أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)[1] فهذا الحديث يؤصل لحقيقة عظيمة في باب الأمن الفكري، وهي أن تأخير العقوبة عن الظالم لا يعني إهمال العدل، بل هو من تمام الحكمة الإلهية، فمتى استقر في قلب المؤمن أن الله لا يظلم مثقال ذرة، وأن تأخير العقوبة له حكمة بالغة، أثمر ذلك طمأنينة في النفس، وثقة في عدل الله، فلا يستعجل النتائج، ولا يلجأ إلى التطرف في مواجهة الظلم، بل يسلك مسلك العدل، موقناً أن الله لا يضيع حق مظلوم.

وبهذا الفهم يتحصن العقل من الانحرافات الفكرية التي قد تدفع أصحابها إلى اليأس أو الطغيان، ويتحقق الأمن الفكري القائم على التوازن بين العدل والحكمة.

4- نموذج كمال الرقابة والعلم وأثرها في ترسيخ الأمن الفكري:

ومن الجوانب التي ركز عليها النبي تعليم أصحابه كمال علم الله ورقابته التي تحيط بكل شيء، ليغرس في قلوبهم الشعور بالمراقبة الذاتية لله عز وجل فعن ابن عباس رضي الله عنهما في وصية النبي: (يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك)[2] تؤسس هذه الوصية النبوية لمعنى كمال رقابة الله وعلمه المحيط بكل شيء، فهو جل جلاله يعلم السر وأخفى، ويرى ما في القلوب وما تكنه الصدور، وعندما يستشعر المؤمن هذه الرقابة الإلهية، يتحقق له الأمن الفكري من خلال المراقبة الذاتية التي تحميه من الانحراف، وتدفعه إلى الاستقامة على منهج الله في السر والعلن. فالمسلم الذي يدرك أن الله مطلع على أفعاله وأقواله يصبح أكثر التزاماً بالحق، وأكثر حرصاً على تجنب المعاصي والزلل، مما يؤسس لاستقامة فكرية وسلوكية تعزز الأمن والاستقرار.

وهكذا يتبين أن معرفة كمال صفات الله تعالى وترسيخها في النفوس على المنهج النبوي يحقق الأمن الفكري الشامل، ويحمي العقل من الانحراف، ويبني شخصية مسلمة متوازنة، واثقة بربها، مطمئنة بذكره، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: 11].

المبحث الثالث: الآثار والوسائل المتعلقة بتحقيق الأمن الفكري من خلال الإيمان بالكمال الإلهي، وفيه ثلاثة مطالب:

يمثل الإيمان بالكمال الإلهي ركيزة أساسية في تحقيق الأمن الفكري، حيث إن معرفة الله تعالى بصفاته الكاملة تؤثر تأثيراً مباشراً في تحصين الفكر وحمايته من الانحراف. وتتجلى أهمية هذا المبحث في بيان الآثار العميقة للإيمان بالكمال الإلهي في تحقيق الأمن الفكري، والوسائل العملية لتفعيل هذه الآثار في واقع الحياة، ويتبين ذلك في ثلاث مطالب:

المطلب الأول: آثار الإيمان بالكمال الإلهي في تحصين الفكر من الانحراف:

تتجلى آثار الإيمان بالكمال الإلهي في تحصين الفكر من الانحراف من خلال جوانب متعددة:

أولاً: تحقيق التوحيد الخالص:

إن معرفة الكمال الإلهي تؤسس لتوحيد خالص ينقي القلب من شوائب الشرك ويحرر العقل من أغلال التعطيل. فالإيمان بكمال صفات الله تعالى يجعل القلب متعلقاً بالكامل سبحانه، معرضاً عن كل ناقص من المخلوقين. قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163].

ومن تأمل في آيات القرآن الكريم يجد أن الله تعالى يربط دائماً بين معرفة كماله وتحقيق عبوديته، فكلما ازداد العبد معرفة بكمال خالقه ازداد إقبالاً عليه وإعراضاً عما سواه كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: 19]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28] فجمعت الآيتان بين العلم بالله وكماله وبين تحقيق العبودية له بالتوحيد والاستغفار والخشية، وهذا يدل على أن المعرفة الحقيقية بالله وأسمائه وصفاته تثمر عبودية صادقة وإيماناً راسخاً، وكلما ازدادت هذه المعرفة تعمقت العبودية وقوي الإيمان في القلب، فكان ذلك سبباً في تحصين الفكر وحماية العقيدة.

وتتجلى قوة هذا التوحيد في حماية الفكر من التشتت والاضطراب، فمن عرف كمال قدرة الله لم يلتفت إلى قدرة المخلوقين، ومن أيقن بكمال علمه لم يضطرب من جهل الجاهلين، ومن آمن بكمال رحمته لم يتعلق برحمة المربوبين كما علم الله نبيه أن يقول: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: 38].

ثانياً: تحقيق الطمأنينة النفسية:

الإيمان بالكمال الإلهي يؤسس لطمأنينة نفسية كبيرة تحمي الفكر من القلق والاضطراب، فالمؤمن الموقن بكمال ربه يرى الكون كله بيد من له الكمال المطلق في علمه

(1) رواه البخاري في صحيحه (6/ 74، ح4686).
(2) رواه الترمذي في سننه (4/ 667، ح2516) وصححه الألباني في السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير (2/ 1125، ح7103).

وقدرته وحكمته ورحمته وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].

وهذه الطمأنينة تنعكس على الفكر فتجعله مستقراً متزناً، فكيف يضطرب من يؤمن أن كل ما يجري في الكون بتدبير الحكيم العليم؟ وكيف يقلق من يوقن أن كل شيء بيد الرحمن الرحيم؟ قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159] وهذه الطمأنينة لا تقتصر على الجانب النفسي فحسب، بل تؤسس لمنهجية فكرية متزنة في النظر إلى الأحداث والمتغيرات، فالمؤمن بكمال الله يدرك أن كل ما يجري في الكون إنما هو بتقدير العزيز الحكيم كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 51]. فكل شيء تحت حكمه جل وعلا وتصرفه مما له الأثر الكبير في اطمئنان النفس وثباتها على الحق.

ثالثاً: تعزيز المراقبة الإلهية:

يؤسس الإيمان بالكمال الإلهي لمراقبة ذاتية دقيقة تحكم حركة الفكر وتضبط مساراته، فالإيمان بكمال علم الله وإحاطته يجعل المؤمن يراقب خواطره قبل أفعاله، ويحاسب نفسه قبل محاسبة غيره. ومن أعظم ثمرات هذا الإيمان أنه يوصل العبد إلى أعلى مراتب العبودية وهي مرتبة الإحسان، التي فسرها النبي بقوله: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1] فهذا الحديث العظيم يؤصل لقاعدة مهمة في باب الإيمان بالكمال الإلهي، وهي أن استحضار كمال علم الله وإحاطته يثمر مراقبة دائمة في القلب، تنعكس على سلامة الفكر واستقامة السلوك. وقد أشار إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16]. فالجمع بين الآية والحديث يؤكد أن تحقيق مرتبة الإحسان مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان بكمال علم الله وإحاطته، مما يجعل العبد في حالة مراقبة مستمرة لأفكاره وتصوراته، فيكون ذلك سبباً في تحصين فكره وحماية عقيدته.

وتتجلى قوة هذه المراقبة في حماية الفكر من الانحراف قبل وقوعه. فحين يستشعر المؤمن كمال علم الله به كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: 14]، وكمال قدرته عليه، وكمال حكمته في تشريعه ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18]، فإن ذلك يكون من أعظم الحواجز الرادعة للعبد قبل أن يقدم على أي انحراف فكري أو عقدي.

رابعاً: بناء المنهجية العلمية في التفكير:

يرتكز الإيمان بالكمال الإلهي لمنهجية علمية رصينة في التفكير والنظر، فالمؤمن بكمال الله يدرك حدود العقل البشري أمام الكمال الإلهي، فلا يتجاوز في البحث والنظر حدوده التي شرعت له قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85] وهذا الإدراك يحمي الفكر من التطرف والغلو في استخدام العقل، كما يحميه من التقصير والتفريط في إعماله، فيجمع العبد بين إعمال العقل في مجاله المشروع، والتسليم للوحي فيما ليس للعقل مجال فيه وهذه هي صفة عباد الرحمن التي أثنى الله عليهم فيها قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: 36].

خامساً: تحقيق التوازن في الحكم على الأمور:

يثمر الإيمان بالكمال الإلهي توازناً دقيقاً في الحكم على الأمور والأحداث. فالمؤمن بكمال حكمة الله وعدله يدرك أن كل ما يجري في الكون إنما هو وفق حكمة بالغة من لدن حكيم عليم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: 41] وهذا التوازن يحمي الفكر من التطرف في إصدار الأحكام أو التسرع في اتخاذ المواقف. فالمؤمن بكمال الله يتأنى في الحكم على الأمور، ويدرك أن وراء كل حدث حكمة قد تخفى عليه. قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 19]. وهذا المعنى يتجلى أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18]، فكمال قهره سبحانه مقترن بكمال حكمته وخبرته، مما يجعل العبد مطمئناً لما يجري في الكون من أحداث ومتغيرات، فتستقر نفسه وينضبط فكره.

سادساً: تأصيل الثقة بالمنهج الرباني:

يغرس الإيمان بالكمال الإلهي لثقة عميقة بالمنهج الرباني في كل مجالات الحياة، فالمؤمن بكمال علم الله وحكمته يوقن أن المنهج الذي شرعه الله لعباده هو الأكمل والأصلح لهم. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14] وتتجلى آثار هذه الثقة في حماية الفكر من التردد بين المناهج الوضعية المختلفة، أو الانبهار بالنظريات البشرية الحادثة، فالمؤمن بكمال الله يدرك أن منهجه سبحانه هو المنهج الوحيد الكامل الصالح لكل زمان ومكان. قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50]. ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18]. فاجتماع القهر مع الحكمة والخبرة في هذه الآية يؤكد أن أحكام الله وتشريعاته مبنية على العلم الكامل والحكمة البالغة، وهذا يزيد المؤمن ثقة بهذا المنهج الرباني ويجعله مطمئناً إلى صحة أحكامه وكمال تشريعاته، فلا يلتفت إلى المناهج الوضعية مهما تزينت بزخرف القول، ولا تستهويه النظريات البشرية مهما بلغت من التطور والتقدم، لأنه يدرك أن الكمال كل الكمال في منهج من له الكمال المطلق سبحانه.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (1/ 19، ح50).

سابعاً: تأصيل منهج الوسطية والاعتدال:

من مقتضيات الإيمان بكمال أسماء الله وصفاته تحقيق منهج الوسطية والاعتدال في العقيدة والفكر والسلوك، فإن المؤمن بكمال صفات الله تعالى يدرك التوازن الدقيق في شرعه وأحكامه، وأن هذا التوازن منبثق من كمال حكمته سبحانه. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: 143] وتظهر آثار هذه الوسطية في حماية العقيدة والفكر من الانحراف إلى طرفي الإفراط والتفريط، فمن آمن بكمال الله في أسمائه وصفاته، علم أن الغلو في الدين مخالف لكمال شرعه وحكمته، كما أن التفريط والجفاء مناقض لكمال عبوديته سبحانه، وقد حذر النبي من الغلو في قوله: (إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[1].

ومن كمال الإيمان بأسماء الله وصفاته أن يتعامل المؤمن مع النصوص الشرعية بفهم شمولي متوازن، يجمع بين تعظيم الله تعالى وكمال شرعه، وبين يسر هذا الدين وسماحته، فلا يجنح إلى التشدد المذموم بدعوى التعظيم، ولا إلى التساهل المفرط بدعوى التيسير، بل يسلك مسلك الوسط الذي هو سمة هذه الأمة ومنهجها الذي رسمه لهم نبي الهدى .

وهذا التوازن والاعتدال في فهم النصوص وتطبيقها هو من أعظم ثمرات الإيمان بكمال أسماء الله وصفاته، إذ يدرك المؤمن أن الله تعالى الذي شرع الأحكام هو الحكيم العليم الذي يضع كل شيء في موضعه اللائق به، فلا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط.

ثامناً: بناء المناعة الفكرية للمجتمع:

إن من آثار الإيمان بالكمال الإلهي في المجتمع المسلم تحقيق المناعة الذاتية ضد الشبهات والانحرافات العقدية والفكرية، ذلك أن الإيمان بكمال أسماء الله وصفاته يقتضي تحقيق التقوى التي جعلها الله سبباً للفرقان، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29] وتظهر هذه المناعة في قدرة المجتمع على التمييز بين الحق والباطل، والثبات على العقيدة الصحيحة. وقد وعد الله المؤمنين بالتمكين والاستخلاف في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: 55] وهذا الوعد الرباني يؤكد أن المجتمع المحقق لتوحيد الله في أسمائه وصفاته يمتلك أسباب القوة والتمكين، ويستطيع مواجهة الشبهات والانحرافات العقدية بثبات، لأن إيمانه بكمال الله يورثه بصيرة في تمييز الحق من الباطل، وقدرة على كشف الشبهات ودحضها.

فتحقيق التوحيد وما يقتضيه من الإيمان بكمال الله في أسمائه وصفاته يؤسس لمنهج عقدي راسخ، لا تزعزعه الشبهات ولا تؤثر فيه الأهواء. وحين تستقر في النفوس حقائق التوحيد، وما تقتضيه من كمال العلم والقدرة والحكمة لله تعالى، تطمئن القلوب وتستقيم العقائد، ويتحقق الأمن الفكري للأمة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: 13].

المطلب الثاني: الوسائل العملية لتعزيز الأمن الفكري من خلال فهم الكمال الإلهي:

تُعد معرفة الكمال الإلهي وترسيخه في النفوس من أعظم الوسائل لتحقيق الأمن الفكري وتحصين العقل من الانحراف، وقد جاءت النصوص الشرعية مؤكدة لهذا المعنى ومؤصلة له، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: 19] ويمكن بيان هذه الوسائل العملية وتفصيلها على النحو التالي:

أولاً: تحقيق العبودية لله بكماله:

إن معرفة كمال الله في أسمائه وصفاته تقود حتماً إلى تحقيق العبودية الكاملة له، وهي الغاية العظمى من خلق الإنسان. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] وتتجلى هذه العبودية في ربط القلب بالله الكامل في صفاته، وتجريد العبادة له وحده دون سواه، وتحقيق الذل والخضوع لكماله سبحانه، مع استشعار عظمته في كل الأعمال والأحوال. وبهذا يصبح العبد موصولاً بربه في كل شؤونه، متحققاً بعبوديته في جميع أحواله، مستشعراً لكمال ربه في كل تصرفاته، فيثمر ذلك استقامة في السلوك، وسلامة في الفكر، وطمأنينة في القلب.

ثانياً: تعظيم الله في النفوس:

يُعد تعظيم الله في النفوس من أهم وسائل تحصين الفكر وحمايته، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32] ويتحقق هذا التعظيم من خلال تدبر آياته الكونية والشرعية، ومعرفة أسمائه وصفاته العُلى، وربط الأحداث بقدرته وحكمته، واستشعار رقابته الدائمة على العباد، وحين يتغلغل هذا التعظيم في النفس، فإنه يثمر خشية صادقة وتقوى راسخة في القلب، ويمنع من الوقوع في الانحرافات الفكرية التي تنافي كمال الله وجلاله، ويحصن العقل من الشبهات التي تقدح في عظمة الله وكماله.

ثالثاً: تنقية العقيدة من الشوائب:

لا بد من تخليص العقيدة مما يضادّ الكمال الإلهي، كما قال تعالى عن نبيه: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 11] ويتطلب ذلك محاربة البدع والخرافات بشتى صورها، وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن الذات الإلهية، وبيان خطورة التشبيه والتمثيل في حق الله تعالى، مع ترسيخ التوحيد الخالص في النفوس، وهذه التنقية ضرورية لسلامة الفكر واستقامة المنهج، إذ إن العقيدة الصافية من الشوائب هي الأساس المتين

(1) رواه ابن ماجه في سننه (2/ 1008، ح3029) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (5/ 177، ح2144).

لبناء الفكر السليم، والتصور الصحيح عن الله وكماله جل جلاله، والذي يحمي من الانحرافات العقدية والفكرية.

رابعاً: ربط القلوب بالله الكامل:

إن تقوية الصلة بالله من خلال معرفة كماله سبحانه أمر ضروري لتحقيق الأمن الفكري، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28] ويتحقق ذلك عبر تعميق الإيمان بصفاته سبحانه، واستشعار معيته وقربه من عباده، وتحقيق التوكل عليه في كل الأمور، وتفويض الأمور إليه سبحانه وتعالى في كل صغيرة وكبيرة، وكلما قويت هذه الصلة، ازداد العبد طمأنينة وسكينة، وتحصن فكره من الانحراف، لأن القلب المتصل بالله دائما والمستشعر لكماله لا يقبل ما يناقض هذا الكمال من الأفكار المنحرفة والتصورات الباطلة.

خامساً: تفعيل مقتضيات الإيمان:

لا بد من العمل بمقتضى الإيمان بكمال صفات الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: 2] ويشمل ذلك ترجمة المعرفة النظرية إلى سلوك عملي يروض العبد قلبه على استشعار عظمة الله جل وعلا، وربط العمل بالإيمان الصحيح، وتحقيق المراقبة الذاتية المستمرة، وتطبيق معاني الأسماء والصفات في واقع الحياة.

فالإيمان الحقيقي لا يقتصر على المعرفة النظرية فقط، بل لا بد أن يظهر أثره في السلوك والتصرفات، وهذا التفعيل العملي لمقتضيات الإيمان يعد من أقوى وسائل تحصين الفكر وحمايته من الانحراف.

وتتكامل هذه الوسائل جميعها في تحقيق الأمن الفكري المنشود، المبني على فهم الكمال الإلهي وتعظيمه في النفوس، فكلما رسخت هذه المعاني في القلب، وتحققت في السلوك، كان ذلك سبباً في حماية الفكر من الانحراف، وتحصين العقل من الشبهات، وتحقيق الأمن الفكري بمفهومه الشامل مصداقا لقول رب العزة والجلال قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: 101].

المطلب الثالث: معوقات تحقيق الأمن الفكري وسبل علاجها من منظور الإيمان بالكمال الإلهي:

إن من مقتضيات التوحيد والإيمان بكمال الله في أسمائه وصفاته معرفة ما يُعيق تحقيق الأمن الفكري في المجتمع المسلم، وكيفية علاج هذه المعوقات في ضوء العقيدة الصحيحة، فإن المؤمن بكمال الله تعالى يدرك أن من كمال حكمته سبحانه وتعالى أن جعل لكل داء دواءً، ولكل مشكلة حلاً، وتتنوع هذه المعوقات إلى ثلاثة أصناف رئيسة:

أولاً: معوقات الفهم والتصور:

إن من أعظم معوقات تحقيق الأمن الفكري الخلل في فهم حقيقة الكمال الإلهي وما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات، والعجب أن كثيراً من الناس لا يعظمون الله حق تعظيمه، ولا يقدرونه حق قدره، فينتج عن ذلك انحراف في التصور وخلل في الفهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67] فهذه الآية العظيمة تبين أن عدم تقدير الله حق قدره هو سبب الانحراف في تصور صفات الكمال الإلهي.

ويتجلى هذا الخلل في صور متعددة، أخطرها التأويل الباطل لصفات الكمال لله جل وعلا وذلك بصرفها عن ظاهرها بغير دليل شرعي، والتعطيل الكلي أو الجزئي للصفات وذلك بإنكار ما يستحقه الله تعالى من صفات الكمال، كما هو حال الجهمية والمعطلة الذين عطلوا النصوص عن معانيها الحقة، كما يظهر في التشبيه والتمثيل باعتقاد مماثلة صفات الله تعالى لصفات المخلوقين وهذا مناقض لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] ولا شك أن هذا الانحراف في فهم صفات الكمال يؤدي إلى القصور في إدراك العلاقة بين أسماء الله وصفاته وآثارها في حياة المؤمن، فيضعف استشعار معية الله ورقابته، وينتج عنه ضعف الوازع الإيماني في النفوس.

سبل علاجها: وقد دلت نصوص الوحيين على أن علاج هذه المعوقات يكون بالتأصيل العقدي السليم المبني على الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: 19]، فقدم سبحانه العلم على العمل، لأن معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته على الوجه الصحيح تورث اليقين الذي يحصن العقل من الانحراف.

ومن أعظم أسس العلاج أيضا الرجوع إلى فهم السلف الصالح الذين قال فيهم النبي: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[1]، فهم أقرب الناس عهداً بالوحي، وأصفاهم فهماً، وأسلمهم تصوراً، وهذا يستلزم التلازم بين العلم الصحيح والتزكية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28] كما قال عنهم العلامة ابن عبد البر رحمه الله واصفا حالهم: "ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من نقل الثقات وجاء عن الصحابة وصح عنهم فهو علم يدان به، وما أحدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم فبدعة وضلالة وما جاء في أسماء الله أو صفاته عنهم سلم له، ولم يناظر فيه كما لم يناظروا.....[فأحاديث الصفات] رواها السلف وسكتوا عنها وهم كانوا أعمق الناس علما وأوسعهم فهما وأقلهم تكلفا ولم يكن سكوتهم عن عي فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر"[2].

(1) رواه البخاري في صحيحه (3/ 171، ح2652).
(2) جامع بيان العلم وفضله (2/ 946) تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م.

ولا بد مع ذلك من ربط العقيدة بالواقع العملي، فقد وعد الله تعالى من جمع بين الإيمان والعمل الصالح بالحياة الطيبة، قال تعالى: ﴿مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: 97] فاستقامة التصور عن الله تعالى تثمر استقامة في السلوك والعمل.

ويكتمل العلاج بالتحصين المعرفي والمنهجي من خلال الدعوة إلى الله على بصيرة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: 108] فامتلاك المنهج الصحيح في فهم العقيدة وتلقيها من مصادرها الصحيحة يؤسس لمنهج علمي رصين في التعامل مع قضايا العقيدة وأصول الدين، ويحمي من الانحراف الفكري والتصوري.

ثانياً: معوقات تتعلق بالتحديات المعاصرة:

إن من أخطر ما يواجه المسلم في عصره ما يتعلق بتصوره لكمال الله تعالى وجلاله، فقد ظهرت تحديات معاصرة تستهدف هذا الأصل العظيم من أصول الدين، وقد أشار القرآن الكريم إلى سعي المبطلين لطمس هذه الحقيقة كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: 8] فكيف يطمع هؤلاء في إطفاء نور من له الكمال المطلق سبحانه والملك الأعظم! وتظهر هذه التحديات في المذاهب المادية المنكرة لكمال قدرة الله تعالى في الخلق والتدبير، حيث يزعمون أن الكون وُجد بلا خالق - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - متناسين قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: 35] وامتد هذا الانحراف ليشمل العلمانية والليبرالية التي تنكر كمال شرع الله وحكمته في تنظيم حياة البشر.

ومما يزيد الأمر خطورة سهولة انتشار الشبهات المشككة في كمال صفات الله تعالى عبر وسائل التواصل الحديثة، فتجد من يشكك في كمال علم الله، أو كمال قدرته، أو كمال حكمته في شرعه وقدره، وقد ضَعُف في مقابل ذلك المحتوى العقدي المعاصر الذي يُجَلِّي حقيقة الكمال الإلهي ويرد على هذه الشبهات.

سبل علاجها: ومن المعلوم أن علاج هذه التحديات يكون بالتأصيل العلمي لحقيقة الكمال الإلهي في النفوس قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: 23] فكيف يثبت باطل أمام حق من له الكمال المطلق في أسمائه وصفاته سبحانه!

ومن أعظم سبل العلاج كذلك الرجوع إلى العلماء الربانيين الذين يحملون لواء الدعوة والمعرفة فيما أُشكل من المسائل الشرعية والعقدية وخاصة فيما يتعلق ببيان كمال الله تعالى للناس، ويردون شبهات المشككين بالحجة والبرهان قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: 7] فإنهم أهل الإيمان الراسخ في معرفة كمال الله تعالى والذي لا تزعزعه الشبهات.

وينبغي أيضا توظيف التقنيات الحديثة في إظهار دلائل كمال الله تعالى في الآفاق والأنفس، فإن في كل شيء له آية تدل على أنه واحد جل وعلا كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: 53].

وكذلك لابد من غرس الاعتزاز بعقيدة التوحيد والمتضمنة للكمال الإلهي في نفوس المسلمين، وتربيتهم على تعظيم الله حق تعظيمه. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: 125] فإن من عرف الله بكماله وجلاله، عَظُم في قلبه، واطمأنت نفسه بذكره، وازداد يقيناً وثباتاً على الحق.

وأيضا من عرف الله بأسمائه وصفاته على وجه الكمال، أثمر له ذلك خشية في قلبه، واستقامة في سلوكه، وسكينة في نفسه، وثباتاً على دينه كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28] فالعلم بالله وأسمائه وصفاته هو أشرف العلوم وأجلها، وهو السبيل إلى تحقيق الخشية الحقيقية التي تثمر استقامة القلب والجوارح.

ثالثاً: معوقات تتعلق بالتطبيق والممارسة:

مما عظُم من المعوقات في باب الأمن الفكري انفصال العلم عن العمل، وقد حذر الله تعالى من هذا المسلك في قوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 3]. فالعلم الذي لا يورث عملاً لا يزيد صاحبه إلا بُعداً عن الله تعالى.

وتبرز هذه المعوقات في ضعف المنهجية التطبيقية من خلال قلة البرامج العملية التي تحول العلم إلى واقع ملموس، وقد كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تربية أصحابه قائماً على العمل والتطبيق، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21]، ومما زاد الأمر شدة ضعف القدوات وغياب المتابعة، حتى ظهرت الفجوة بين العلم والعمل، فالله جل وعلا حذر من هذا المسلك بقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 44] فلابد أن يكون للعلم أثرا بالمقام الأول على صاحبه وحامله ثم يبلغه للناس فإن ذلك أبلغ في نشر الحق والدعوة إليه.

وقد امتد هذا الخلل فشمل القصور في التربية العقدية، من ضعف المؤسسات التربوية، وقصور المناهج، وندرة المربين المؤهلين الذين يحققون التلازم بين العلم والعمل في نفوس المتعلمين.

سبل علاجها: وقد دلت نصوص الوحيين على أن علاج هذه المعوقات يكون بالمجاهدة العملية المستمرة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: 69]. فالمجاهدة في تطبيق العلم سبب من أسباب الهداية والتوفيق.

ومما ينبغي العناية به في العلاج إعداد البرامج العملية التي تترجم العلم إلى واقع، مع تأهيل المربين الراسخين في العلم والعمل، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]. فإن التربية الحقة لا تتحقق إلا على يد العلماء العاملين.

ومن المهم العناية بتطوير المناهج التربوية وتفعيل دور المؤسسات التعليمية، مع الحرص على المتابعة والتقويم المستمر عملا بقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55] فإن التذكير الدائم والمتابعة المستمرة من أعظم أسباب الثبات، لأن العلم الحقيقي هو ما أورث خشية في القلب وعملاً في الجوارح، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]. فمتى استقر العلم في القلب أثمر عملاً صالحاً في الظاهر.

فالتوازن بين العلم والعمل من أعظم مقاصد الشريعة، لا ينفك أحدهما عن الآخر، كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10]. فالعمل الصالح هو الذي يرفع العلم ويزكيه.

وبهذا يتضح أن معالجة معوقات تحقيق الأمن الفكري تتطلب منهجية متكاملة تجمع بين التأصيل العقدي السليم، والتطبيق العملي المنضبط، والمتابعة والتقويم المستمر، والله أعلم.

3 الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد هذه الدراسة التي تناولت موضوع الإيمان بالكمال الإلهي وأثره في تعزيز الأمن الفكري، تبين أن العلاقة وثيقة بين سلامة الاعتقاد في أسماء الله وصفاته وبين تحقيق الأمن الفكري، فكلما رسخ الإيمان بكمال الله تعالى في النفوس، انعكس ذلك إيجاباً على سلامة الفكر واستقامة المنهج.

أولا: أبرز النتائج:

1. الإيمان بالكمال الإلهي يمثل حصناً منيعاً للفكر من الانحراف العقدي والفكري.
2. هناك علاقة طردية بين قوة الإيمان بصفات الله تعالى ومستوى الأمن الفكري.
3. فهم السلف الصالح للكمال الإلهي يمثل منهجاً متكاملاً في تحقيق الأمن الفكري.
4. التحديات المعاصرة للأمن الفكري ترتبط بشكل مباشر بضعف الإيمان بالكمال الإلهي.
5. السيرة النبوية قدمت نماذج عملية في ربط الإيمان بالكمال الإلهي بتحقيق الأمن الفكري.

ثانياً: أهم التوصيات:

6. إنشاء مراكز متخصصة تُعنى بتعزيز الأمن الفكري من خلال التأصيل العقدي.
7. تطوير برامج تعليمية تربط بين العقيدة الصحيحة والأمن الفكري.
8. إقامة دورات تدريبية للدعاة والمربين في كيفية توظيف الإيمان بالكمال الإلهي في تحصين الفكر.
9. تكثيف الدراسات العلمية التي تربط بين أبواب العقيدة وقضايا الأمن الفكري المعاصرة.
10. تفعيل دور وسائل الإعلام في نشر الوعي بأهمية الإيمان بالكمال الإلهي في تحقيق الأمن الفكري.

شكر واعتراف:

يتقدم الباحث بالشكر لمركز البحوث الإنسانية والإجتماعية بجامعة الحدود الشمالية -المملكة العربية السعودية - لدعمهم هذا العمل بموجب العقد رقم

NBU-RAA-2025- 3185- 01

4 المصادر والمراجع:

القرآن العظيم.

أمراض القلوب وشفاؤها، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، الناشر: المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1399هـ.

الأمن الفكري دراسة تأصيلية لمفاهيم المصطلح ومحدداته، المؤلف: إبراهيم الزهراني، ط. مجلة البحوث الأمنية -كلية الملك فهد الأمنية، عام 1442هـ.

الأمن الفكري في الشريعة الإسلامية، المؤلف: رامي فارس، ط. الجامعة الإسلامية بغزة 1433هـ.

جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م.

الروح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، 1395 – 1975.

السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، رتَّبه وعلق عليه: عصام موسى هادي، الناشر: دار الصديق - توزيع مؤسسة الريان، الطبعة: الثالثة، 1430 هـ - 2009 م.

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، عام النشر: 1415هـ - 1995م.

سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: 1998م،

شرح العقيدة السفارينية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، 1426 هـ.

صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

القاموس المحيط، المؤلف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.

القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، 1421هـ/2001م

معارج القبول بشرح سلم الوصول، المؤلف : حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، المحقق : عمر بن محمود أبو عمر، الناشر : دار ابن القيم – الدمام، الطبعة : الأولى ، 1410 هـ - 1990 م.

المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 ه.

مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.

مقومات الأمن في القرآن الكريم، المؤلف إبراهيم الهويمل، ط. جامعة نايف للعلوم الأمنية.

المنتقى من منهاج الاعتدال، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.